

المنهج الحرفي والمنهج الاسمي في رسائل النور

محمد مصطفى محمد صالح

* الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب في جامعة الخرطوم بالسودان

*Associate Professor, Department of Islamic Studies, Faculty of Arts, University of Khartoum, Sudan

E-mail:

mohamed.salih@gmail.com

Orcid:

<https://orcid.org/0000-0002-3566-6182>

Received: April 11, 2023

Accepted: July 1, 2023

Published: July 31, 2023

Citation:

Salih, Mohammed, *The Literal Approach and The Nominal Approach in The Risale-i Nur*, Istanbul, The Journal of Risale-i Nur Studies 6:2 (2023), 58-67

المستخلص

يهدف البحث الى أن الإمام النورسي من خلال استعارة هذين المصطلحين (معنى الحرفي والاسمي) من علم النحو أن يقدم منهجاً واضحاً في التعامل مع الوجود بأكمله متمثلاً في الكون، والحياة، والإنسان، وسائر الكائنات والمخلوقات والموجودات بصورة عامة، وفي التعامل مع الخالق المبدع سبحانه وتعالى الذي أوجد هذا الكون من العدم بحكمته وقدرته وعلمه ومشينته سبحانه وتعالى. واستخدم هذين المصطلحين لاكتساب النظرة الجديدة ينظر بها الإنسان الى الكون والأحداث ويحلّ المشاكل الاجتماعية بهما. استخدم البحث المنهج التحليلي لبعض النصوص الواردة في رسائل النور حيال هذا الموضوع. توصل الباحثان لعدد من النتائج أهمها أن المسائل الإيمانية والعقائدية يمكن أن يكون حلاً لمشاكلنا الاجتماعية من خلال استخدام أسلوب الإمام النورسي.

الكلمات المفتاحية: الامام النورسي، المعنى الحرفي، المعنى الاسمي

The Literal Approach and The Nominal Approach in The Risale-i Nur

Abstract

The research aims that Imam Nursi, by borrowing these two terms (the meaning of the literal and the nominal) from the science of grammar, presents a clear approach in dealing with the entire existence represented in the universe, life, man, and other beings, creatures, and assets in general, and in dealing with the Creator, Glory be to Him. Who created this universe out of nothing with His wisdom, power, knowledge, and will, Glory be to Him. He used these two terms to acquire the new view through which man looks at the universe and events and solves social problems with them. The research used the analytical method for some of the texts contained in the Risale-I Nur on this subject. The researchers reached several results, the most important of which is that faith and ideological issues can be a solution to our social problems using Imam Nursi's method.

Keywords: Imam Nursi, literal meaning, nominal meaning

ما من شك أن رسائل النور تتصل اتصالاً وثيقاً بأمر العقيدة، والدين، والشريعة. وتتصل كذلك بأمر المنهج الصحيح القويم في التعامل مع الوجود بأسره؛ مع الكون والإنسان والحياة. ومعلوم لدى أصحاب العقول النيرة والفطر السليمة من بني البشر أن الإنسان محدود القدرة، والعلم، والإرادة. وهو فقير وعاجز أمام مظاهر الكون التي تحيط به من كل جانب. إنه لا يملك ناصية أمره، وهو محكوم لا حاكم، وهو مسلوب الحول والطول أمام معضلات الحياة، وأمام كثير من الكائنات حيث يقف أمامها حائراً عاجزاً خائر القوى. ولكنه مع ذلك يمتلك عقلاً، وروحاً، وحياة، ونفساً ذات لطافة. لقد وهبه الله تعالى كل ذلك، وتفضل عليه بجميع ذلك تكريماً منه تعالى، وتكريماً لشأنه .

يقول تعالى: " ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً". سورة الإسراء، الآية 70.

وقبل هذه الآية بقليل يذكرنا المولى عز وجل بقوله تعالى: " وإذا مسكم الضر في البحر ضلّ من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفوراً". سورة الإسراء، الآية 67.

إنها الفطرة المركوزة في قلب الإنسان، وفي نفسه، وفي روحه، وفي شعوره وإحساسه. إنه شهد في عالم الذر أنه لا إله إلا الله، وشهد بذلك أنه مربوب، وأنه تابع لا متبوع، وأنه مقود لا قائد، وأنه عبد للمالكة وخالقه وبارئه ومصوره. وعلى هذا الأساس أهبته الله تعالى إلى الأرض ليكابد الحياة، وليكدح كدحه إلى ربه الذي سوف يلاقيه. وعلى هذا الأساس جاءت الأنبياء والرسول، ونزلت الرسائل والكتب. وعلى هذا الأساس تحدد الهدف السامي الكبير وهو " العبادة" بسر قوله تعالى: " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون". سورة الذاريات، الآية 56.

وهذا الإنسان المكرّم العابد وغير العابد، المطيع لربه والعاصي، المؤمن والكافر، لا تسعه الدنيا، ويتوق إلى الامتداد الزماني والمكاني، ويتشوّق إلى حياة فسيحة، ويعشق البقاء والخلود. يقول الإمام النورسي: " اعلم أيها الإنسان أن من غرائب ما أودع الفاطر الحكيم في ماهيتك أنه قد لا تسعك الدنيا...". (النورسي، المثنوي، 230).

من ذلك نستنتج أن الإنسان مخلوق تابع، وأن الكون والوجود كله قائم بأمر الله تعالى، لا بأمر نفسه، وأن الإنسان لا يقوم وحده كما ذهب الفلاسفة الملحدون، وأنه يقوم بأمر صاحب الأمر سبحانه وتعالى. وعليه فهناك منهجان، وتوجهان بين بني البشر، هناك المنهج الحرفي، وهناك المنهج الاسمي. هناك التوجه الحرفي، وهناك التوجه الاسمي. ولقد أشار الإمام إلى قضية الإنسان المنقطع عن ربه، الذي وقف عند (الأنا) المستقلة القائمة بذاتها، التي تتوهم المعنى الاسمي في ذاتها، وتنسى المعنى الحرفي، وهو الإنسان الذي نسي وظيفته الفطرية وأعتقد

في نفسه مالكي، وهو حينها قد خان الأمانة، ودخل ضمن دائرة قد خاب من دساها. (النورسي، الكلمات، ص 306-307).

وتستطيع القول بأن مسيرة الإنسانية منذ نشأتها وحتى رجوعها إلى ربهما تتنازع وتتأرجح بين هذين المنهجين الذئب وصفهما الإمام النورسي بدقة، واستطاع أن يستعيرهما من الدرس النحوي بغرض التوضيح. والمصطلحان يمتان بصلة إلى الدرس المنطقي الكلامي، ولكنهما في هذا الدرس المنطقي الكلامي فهما وعورة وصعوبة. وقد أشار الإمام في كتابه صيقل الإسلام إلى جوانب من المباحث المنطقية التي قد لا تناسب عامة القراء. ولكن الإمام النورسي فضل الأسلوب السهل الميسور، وهو أسلوب النحو العربي الذي يقرب الصورة لعامة المسلمين بهذه الطريقة التربوية التعليمية السهلة.

ويمكننا القول إن الأسلوب الاسمي هو أسلوب الشيطان المتمرد، وهو أسلوب الحضارات الشيطانية الفرعونية النمرودية المتمردة، وهي الحضارات التي حكى عنها القرآن الكريم. هي تلك الفرعونيات التي تدعي الربوبية والألوهية.

وهي تلك النمروديات التي تقول بأنها تحيي وتميت. وهي الحضارات التي تتحدى الإله، وترى أنها غلبته، وتجاوزته، وأنها لم تعد بحاجة إليه، وترى أنها نهاية التاريخ، وأنه لا حضارة بعدها، ولا نظام أفضل منها. هي الحضارات التي نبذت الدين والقيم والأخلاق وراءها ظهرياً، وأنسقت خلف الهوى والشهوة الفاجرة والرغبة الأثمة. وهي حضارات الدجال والدجل والشعوذة الفكرية الثقافية التي تُظهر المنكر معروفاً والمعروف منكراً. (انظر المكتوبات، ص 62).

كل هذه المظاهر تتجلى بوضوح عند الحضارات الاسمية التي ظنت أنها قادرة على فعل كل شيء. إنها الحضارة الاسمية التي حكاها القرآن وحذر منها، ويعيشها العالم اليوم.

أما الحضارات والمدنيات التي أقام بنيانها الأنبياء والرسل، وشيدوا صرحها، فهي الحضارات الحرفية التي تتصل بالله تعالى، وتقوم بأمره تعالى، وترجو فضله سبحانه وتعالى. إنها الحضارات التي تربي الإنسان الذي يرجو لقاء ربه. وهذا الإنسان الذي (يرجو) (لقاء) (ربه) هو إنسان تكاملت فيه عناصر الحرفية، وتجلت فيه مفاهيم المنهجية الحرفية التي تدعم مسيرته القاصدة إلى الله سبحانه وتعالى. إن الإنسان، والحضارة، والمدنية، والتوجهات المؤمنة التي تؤكد على (الرب) الخالق المعبود، وتؤكد على (لقاء) الرب، وهي ممتلئة بمعنى (الرجاء)، وهذا الرجاء هو الذي يرفد الفرد ويشحنه بمعاني الحرفية وبمضامينها السامية العلوية، وهي مفاهيم الإيمان بالله الخالق الرازق الوهاب الكريم الذي تتجلى نعمه بين ظهرانينا، ونسيح في بحار أسمائه الحسنى، ويسبح الكون كله في ليج محيطات أفضاله ونعمه التي ما هي إلا من فيوض تجليات أسمائه الحسنى.

من خلال هذه المقدمة تتضح أهمية المنهج الحرفي في النظر إلى الوجود، والكون، والحياة، والإنسان. وتتضح كذلك المفارقة الكبرى والبون الشاسع بين هذا المنهج الحرفي الإيجابي الإيماني، وبين نقيضه المنهج الاسمي المتأله. ومن هنا كان دور الإمام النورسي الملحوظ في تقديم هذين المنهجين بصورة تربوية سهلة ميسورة.

منهج الإمام في بيان المنهجين:

لقد استطاع الإمام النورسي من خلال استعارة هذين المصطلحين من علم النحو أن يقدم منهجاً واضحاً في التعامل مع الوجود بأكمله متمثلاً في الكون، والحياة، والإنسان. وسائر الكائنات والمخلوقات والموجودات بصورة عامة، وفي التعامل مع الخالق المبدع سبحانه وتعالى الذي أوجد هذا الكون من العدم بحكمته وقدرته وعلمه ومشينته، وأبدع صنعه، وأحكم هيئته، وجعله قصراً منيفاً تسكنه الكائنات، وتتغنم فيه الموجودات، وخلق هذا الإنسان في أحسن تقويم وأكمل صورة، وجعله ساحة وميداناً لتجليات الكثير من الأسماء الحسنى، وسخر له من كل أصناف الموجودات وأنواع المخلوقات تخدمه؛ كل ذلك لكي يقوم بواجب الإيمان بالله، ومعرفته، وعبادته.

إن الإنسان مخلوق مكرم كما تقدم ذكره في الآية الكريمة من سورة الإسراء، بينما الكون مخلوق مسخر لهذا الكائن الإنساني الذي فضّله الله تعالى وشرفه أيما تفضيل وتشريف.

ويظل الإنسان مكرماً مشرفاً طالما آمن بالله، وعرفه، وعبده. وبمعنى آخر، يظل الإنسان مكرماً ما التزم بمبدأ الحرفية وبمنهجها القويم المنضبط مع السنن الإلهية، ومع منطق الوجود والكون والحياة.

وقد ينتكس هذا الإنسان ويرتكس عن الجادة السوية، وينحرف عن الصراط المستقيم عندما ينسى ربه سبحانه وتعالى. وفي هذه الحالة يكون قد تنكّب منهج الحرفية، وحاول أن يتمسك بمنهج الإسمية، وهو المنهج الذي يقود الإنسان نحو التهلكة كما هلك فرعون، والنمرود. هذا المنهج الاسمي هو منهج التعالي، وهو منهج النسيان والغرور والتكبر على الله، وعلى الخلق، وعلى الكون بأسره، وعلى الحياة. إن الإنسان الذي يتبع هذا المنهج الاسمي هو الذي يعيث في الأرض فساداً، وهو الذي يستعمر الأمم والشعوب، وهو الذي يجعل الغاية مبرراً للوسيلة، وهو الذي يجعل من الغش شعاره، ومن الخداع دثاره. أما من يتبجح بالمنهج الحرفي فهو من زرع نفسه في أرض الخمول؛ فأنبئت خير الثمار، وأتت طيب الأكل بإذن ربها كالبلد الطيب الذي يخرج نباته بإذن ربه، وذلك الذي انتبج المنهج الاسمي فهو كالأرض الخبيثة التي لا يخرج زرعها إلا نكداً.

لقد بدأت مسيرة الإنسان على الأرض مهتدية بهدى الله، وبكلمات الله تعالى التي انزلها لتهدي مسيرته، وتعصمه من الزلل والزيغ والانحراف. وكان الناس على هداية الله لهم، وعلى سنة الأنبياء والرسل الذين كانوا يتعاقبون على مجتمعات البشر. لقد كان المنهج السائد يومئذ هو المنهج الحرفي بحسب المصطلح الذي أستعاره

الإمام من علم النحو العربي، وكان أولياء الرحمن على صلة برهيم، يعرفونه، ويُعرفون به، وكانوا - مع ربهيم - مكان الحرف من الاسم، يقفون عند حدودهم التي حددها الله تعالى، ويصدرون عن أمره ونهيه، ويهدون بهدايته، ويعملون بالكلمات التي تنزل عليهم من عند ربهيم، ويتلقونها كما تلقاها ابوهيم آدم عليه السلام.

ولكن الشيطان. ذلك العدو المبين، يقف لبني آدم بالمرصاد، ويسعى سعياً حثيثاً لكي يغوي الإنسان، ويحول بينه وبين الهداية الربانية، ويعمل على إنزاله من منهج الحرفية إلى التخبط في أودية الاسمية. ويصح ان نتدارك أنفسنا بأن نزرع صفة المنهجية من هذه الزعة الإسمية. إن الحرفية منهج وطريق، وسلوك، وتربية، وفهم. أما الزعة الإسمية فهي زعة شيطانية دجالية فرعونية نمرودية، وفيها تزيين الشيطان، وإغواء الدجال، وزخارف الفراغة والتماردة، وهي جذابة ساحرة، وينخدع بها الضالون المستعدون لتقبل هذه الزعة المنكرة.

إن هناك العديد من العوامل النفسية والقلبية والشعورية التي تتحرك داخل الإنسان بفعل وسوسة الشيطان تحجبه عن الله تعالى، وتجعله ينسى ربه، ويتخذ من مظاهر الحياة حجياً كثيفة تحول بينه وبين ربه. وهذه العوامل تحمله حملاً على تقبل مزالق الإسمية، وتبعده عن منهج الحرفية، وعن المسلك الرباني القويم. إنها النفس الأمارة بالسوء التي تُصوّر لصاحبها انه مالك الدنيا، وسيد الكون، وأنه المطاع فلا يعصى، وأنه القاهر الذي لا يُقهر، والتاريخ شاهد على كل هذه المسالك.

المنهج الحرفي في التعامل مع الصالحين:

لقد اتخذ الناس عبر التاريخ من الصالحين ومن الأولياء أمثلة ونماذج يقتدون بهم لصالحهم وتقواهم، ولقربهم من الله تعالى، ومن تعاليمه، وكانوا يعرفون انهم نالوا هذا الصلاح، وهذه المكانة بسبب إيمانهم وقربهم ومعرفتهم بالله تعالى. هنا وفي هذه الحالة، كان الناس ينظرون إلى هؤلاء الصالحين والأولياء بالمعنى الحرفي، بمعنى انهم يحبونهم، لا لأنفسهم، بل لحبهم لله تعالى. وفي هذه الحالة يكون التوجه نحو الله، لا نحو الصالحين ولا نحو الأولياء. إن اتجاه البوصلة دائماً يتجه نحو الله سبحانه وتعالى، ولا يتجه نحو جهة أخرى. إن المنهج الحرفي يوجه هذه البوصلة، ويُسدّد وجهتها، ويمنعها من الزغ يمناً أو يسرةً. إن المعنى الحرفي يُكسب الفرد تواضع المؤمن، وسهولة المؤمن، ولينه، وسماحته، وخفض جناحه للخلق. (انظر اللمعات، ص122).

التحول من المعنى الحرفي إلى الاسمي:

لكن بتقادم العهد وتداول الأزمان تغيرت المفاهيم الفكرية والفلسفية والثقافية؛ فتغيرت المعاملات برمتها، وتعامل الناس مع الصالحين والأولياء والقديسين بالمعنى الاسمي. وهنا تكمن المشكلة الكبرى عند الأفراد والجماعات في الشرق وفي الغرب، وذلك عندما يصبح النبي والولي والرجل الصالح والقديس والكاهن والأسقف والمطران والبابا مقصوداً لذاته، ويكون نافعاً وضاراً بذاته، وحينما يصبح رجل الدين شفيعاً ووصياً ومالكاً لمفاتيح

السموات، وعندما يكون بانعاً لصكوك الغفران كما حدث عند رجال الكنيسة الغربيين في العصور الوسطى. كان ذلك المسلك عند رجال الكنيسة في القديم، ولا يزالون على هذا المسلك الذي يتبع النزعة الإسمية التي تنسى الله سبحانه وتعالى وتربط النفع والضرر بهؤلاء الأشخاص الذين لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ناهيك من أن يملكوه لغيرهم؛ فهؤلاء الناس الذين سلخوا النزعة الإسمية، ينظرون إلى هؤلاء جميعاً بالمعنى الاسمي. إن الفرد المسيحي ينتظر من رجل الدين الكنسي ما ينبغي له ويجب عليه أن ينتظره من الله رب الناس ورب السموات والأرض ورب الكون. وهنا نشير إلى أن المسيحية المحرّفة قد قدّست غير المقدّس، وألّهمت غير الإله، ولم يقف تقديسها على الأقانيم الثلاثة، بل وصل التقديس عندهم إلى مريم العذراء البتول، وامتد إلى تقديس الباباوات والكنيسة ورجالها. ومن هنا فالبلاء عندهم مركب، والداء عندهم عضال .

تختلف هذه النظرة بالطبع عند المسلمين خاصة من أهل السنة والجماعة الذين يتّسمون بالوسطية والاعتدال والمنهج القويم. إنهم يحبون في الله، ويبغضون في الله، ويوالون في الله، ويعادون في الله، شأنهم في ذلك شأن السلف الصالح من أهل عصر السعادة الذين أخذوا منهجهم وطريقهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم. إن الصحابة أحبوا رسول الله عليه أفضل الصلاة والتسليم لحبهم لله تعالى، وعلموا انه المرشد والمعلم والمربي، وأنه الشفيع المشقّع، وأنه الوسيلة التي تقودهم إلى الله تعالى. كان الرسول عليه الصلاة والسلام قد قدم لهم ولكل الإنسانية النموذج الكامل، والقُدوة المتميزة، والأخلاق العظيمة التي مدحها الله تعالى في كتابه الكريم.

لقد كان للشخصية النبوية الدور المحوري والأساسي في عصمة الأمة المسلمة من الوقوع في مرض النظر للأحياء والأشياء والأكوان بالمعنى الأسمى. لقد كان النبي الكريم عليه الصلاة والسلام يربط المسلمين على الدوام بالله تعالى، وينهاهم عن السير وراء الشعوذة الفكرية، والتخليط العقائدي. ولقد علّمهم أن رابطة الإيمان أقوى من رابطة النسب، وأنه لا يغني عن احدٍ من آل بيته يوم القيامة إلا إذا جاء بإيمانه وسعيه الصالح. وأنه - عليه الصلاة والسلام - مضى إلى ربه وترك الأمر شورى بين المسلمين، ولم يجعل لأهل بيته شيئاً من الأمر بسبب القرابة .

لقد رسخت عظمة الله تعالى في نفوس المسلمين، ووقرت معرفته سبحانه وتعالى في القلوب، وتجلت لهم أسماء الله الحسنى وصفاته الجمالية والجلالية والكمالية في كل الموجودات؛ فظهرت لهم عظمة الله سبحانه وتعالى، وبرزت أمامهم الشخصية النبوية بكل ما تحمله من كمالات افاضها عليها القرآن الحكيم. لقد تجلت المكانة النبوية بسبب التخلّق بأخلاق القرآن الحكيم، ونجد الإمام النورسي يطلق على الشخصية النبوية (القرآن الثالث). لقد تعلق المسلمون بحب الله تعالى لأنه خلقهم ووجدتهم من العدم، ورزقهم من الطيبات، وأنعم عليهم بالإيمان والمعرفة، وهم يحبون رسوله صلى الله عليه وسلم لأنه عرفهم بالله، وعلمهم الكتاب والحكمة، وزكاهم أعظم تزكية. وهم يحبون أهل بيته لحبهم له عليه الصلاة والسلام. إن هذه الأنوار القرآنية، والأنوار النبوية عصمت الأمة المسلمة التي وصفها الله تعالى بأنها خير أمة أخرجت للناس من أن تنزلق إلى دركات النظر إلى الأحياء والأشياء بطريق

المعنى الأسى. وعصمتها من أن تنظر إلى النبي عليه الصلاة والسلام بمعزل عن الله تعالى الذي أرسله، وعصمتها من النظر إلى آل البيت بمعزل عن النبي صلى الله عليه وسلم. ولعل بعض طوائف المسلمين قد انزلت في هذه المتاهة، وحُجبت أو كادت أن تُحجب بأل البيت وخاصة بسيدنا الحسين عليه السلام، نقول كادت أن تُحجب بهم عن صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام .

لقد تعلمت الأمة المسلمة خاصة من أهل السنة والجماعة تعلمت من قرآنها ومن نبيا عليه الصلاة والسلام أن تنظر لكل جزئية في الكون باعتبارها حرفاً في مجموعة حروف الكتاب الرباني، ونظرت لكل شخص مهما تعالي شأنه وقدره ومكانته باعتباره حرفاً من حروف المعاني لا يحمل معنى في نفسه، بل يؤدي معناه مع غيره، ولا يظهر معناه إلا مرتبطاً بالأسماء الحسنى والصفات العلى.

ومن هنا لم ينظر المسلمون إلى أهل الصلاح منهم وأهل التقوى والعلم والمعرفة بالله نظرة مستقلة عن الله تعالى، ومن هنا فلا تصح المقارنة بين نظرة المسلم إلى عالم الدين والفقهاء ونظرة المسيحي الغربي إلى رجل الدين الكنسي الذي يقف حائلاً بين الناس وبين الارتباط بالله والتوجه نحوه بدون وساطة .

لقد كان هذا الجانب من المقال يختص بالمقارنة بين المسلمين والغربيين من نصارى وغيرهم من أهل النحل الذين ساقتهم الأهواء إلى أن ينظروا لكبراءهم من أهل الكنائس نظرتهم إلى الله تعالى.

أما في داخل الدائرة المسلمة فهناك مشكلة التعامل مع الأولياء وزيارة قبورهم، وهنا يحدث الجدل والنزاع بين من يعتبرون هذا المسلك نوعاً من الشرك، وبين من يرون ذلك نوعاً من التذكرة والعبارة بزيارة الأولياء. والأمر فيه نوع من السعة حيث جاءت الأخبار والآثار التي تشير إلى زيارة القبر بغرض الترحم والاعتبار بحال الموتى، ويكون ذلك بالمعنى الحر في أي ان القبر، وصاحب القبر لا يملك لنفسه نفعاً، ولا ضرراً، ولا موتاً، ولا حياة، ولا نشوراً. وأن النظر والتوجه هو في الأساس نحو الله سبحانه وتعالى صاحب الأمر والنهي.

وليس في المسلمين من يعتقد ان قبراً من القبور، أو أن صالحاً من الصالحين ينفع أو يضر بمعزل عن الله تعالى. ومن هنا يتبين ان الذين يتجادلون في هذه الأمور، ويتعاركون حولها إنما يتجادلون في غير قضية، ويعترون في غير معتك. والأحوط في هذا المقام هو النظر إلى كل حالة في سياقها الظرفي الزماني والمكاني، والحكم عليها بما يقتضيه الحال، ولا يصح التعميم، ولا التكفير، ولا التفسيق، ولا التبديع، إلا ببينة وبرهان وبدليل. والمعروف أن عامة المسلمين من الذين لم يتلقوا علماً شرعياً يفهمون الفرق بين ما هو مقدس، وما هو غير مقدس. وهم يفهمون الحدود الفاصلة بين الإله المعبود، والنبي، والولي.

وقضية أخرى ربما تثور بين أهل السنة والجماعة من جهة وبين فرق الشيعة من جهة أخرى. وهذه القضية هي محبة آل البيت، ومحبة الإمام الحسين ابن علي عليه السلام ورضي الله عنه بصورة خاصة.

لقد رسخت محبة النبي صلى الله عليه وسلم عند أهل السنة والجماعة، ورسخت كذلك محبة آل البيت عليهم رضوان الله في نفوس أهل السنة وقلوبهم، ولا تجد من بين أهل السنة والجماعة من يحمل أدنى مقدار من عدم الحب لآل بيت رسول الله عليه الصلاة والسلام، وهذا بسبب حبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وبسبب حبه لله تعالى.

إن حب أهل السنة والجماعة لآل البيت النبوي حب يلتزم بمنهجية المعنى الحرفي أي ان محبتهم لا لدواتهم، بل بسبب علاقتهم ونسبهم والمتصل بأفضل الخلق عليه الصلاة والسلام. كما انهم يحبونهم بسبب إيمانهم وتقواهم ومعرفتهم وعلمهم بالله تعالى وبشرعه ودينه، ومن المعلوم ان صحبة النبي عليه الصلاة والسلام ومعايشته وملازمته تُكسب الصحابي علماً وفهماً وفقهاً، فكيف بأهل البيت الذين كانوا يتشرفون بملازمته في كل الأوقات. وأهل البيت عليهم سلام الله إنما استمدوا مكانتهم من صاحب النبوة والرسالة، ولولاه لما حازوا الشرف. فكيف يكون من المنطق أن يحب الإنسان المسلم آل بيت النبي أكثر من حبه للنبي عليه الصلاة والسلام.

وهنا تكمن المشكلة وهي أن يصبح الحب لآل البيت النبوي او لسيدنا الحسين عليه رضوان الله حياً لدواتهم دون أن يتذكر المرء صلتهم بصاحب الرسالة؛ فهنا يكون الخلل والزيغ، وهنا تكمن المعضلة الكبرى التي ربما تؤدي بمن يتصف بها إلى التهلكة من حيث يدري او لا يدري .

لقد ركزت جماعات الشيعة وفرقهم المختلفة على سيدنا الحسين ابن علي عليهما السلام؛ حتى ليكاد المرء ان يظن انهم قد حُجِّبُوا به عن جده صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام، وهو الذي يُستمد منه الشرف والفخر في الدنيا والآخرة، وهو الذي تفتخر به الأكوان كلها من العرش إلى الفرش، وهو الذي اقترن اسمه مع اسم رب العالمين؛ فالحسين عليه رضوان الله تعالى وسلامه يستمد فخره ومكانته من جده صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام، والحسين مع ذلك سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الشهيد الصادع بالحق، والقائم بأمر الله، وله الشرف والفخر، ولكن كل ذلك حصل له بالسبب النبوي، وبمكان جده ومكانته عند الله تعالى .

وعليه؛ فإن الذين يحبون الحسين، ويحبون آل البيت، عليهم ان يجعلوا حبه هذا وفق المنهج الحرفي وليس وفق المنهج الاسمي، بمعنى ان يكون حبه لآل البيت، وللحسين عليه الرضوان، ولذرية الحسين من الأئمة السنيين حياً حرفياً يقتدي بالمنهج الحرفي السديد المستقيم الذي يكون بسبب الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

إن هذا الحب لآل البيت بهذه المنهجية الإيجابية وفق المنهج الحرفي والمصطلح الحرفي؛ تعصم المرء المسلم من الوقوع في المحذور وهو سب الصحابة وشتمهم، والتعدي على أعراضهم كما يفعل الروافض الذين خسروا الدنيا والآخرة بسبب مواقفهم السلبية من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فإذا كان المسلم مسلماً

صحيح الإسلام والإيمان لا يمكن أن يعتدي بالشتم والسب واللعن على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ابي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعائشة ام المؤمنين، وقد يجهل الكثير من الروافض علاقة النسب والمصاهرة بين هؤلاء الصحابة الكرام وبين آل البيت النبوي .

خاتمة القول:

لقد وقفنا خلال هذا المقال على المنهج الحرفي وعلى النزعة الإسمية التي وقف عندها الإمام بديع الزمان سعيد النورسي من خلال رسائل النور التي قصد منها توضيح وتوصيف علاقة الموجودات الممكنات بالذات الواجب الوجود سبحانه وتعالى. لقد استخدم الإمام معرفته بعلم النحو العربي، وأستعار منه مصطلحي المعنى الحرفي والمعنى الاسمي، وحاول بهذا المنحى المعروف عند العلماء ان يقرب الصورة في أذهان المسلمين. إنه أسلوب تربوي ممتاز أسهم في تجلية الموضوع. ولفت الأنظار إلى أهمية هذا المدخل في إيجاد حلول لكثير من المشكلات المجتمعية.

كما ظهر ان هذين المصطلحين من المصطلحات الكلامية التي فيها نوع من التعقيد، ولكنّ صاحبُ رسائل النور تجنّب الحديث في الجوانب الكلامية الشائكة التي قد لا تخدمك مراد الإمام من توضيح القضية بسهولة ويسر؛ ومن هنا أثر الإمام ان يستخدم المصطلح النحوي الذي جاء على وفق المطلوب، وعلى قدر المراد.

المراجع:

1. الإمام بديع الزمان سعيد النورسي، إشارات الإعجاز في مظانّ الإيجاز، القاهرة، دار السنابل
2. الذهبية للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى، 2010.
3. الإمام بديع الزمان سعيد النورسي، الكلمات، القاهرة، دار السنابل الذهبية للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الثانية، 2012.
4. الإمام بديع الزمان سعيد النورسي، اللمعات، القاهرة، دار السنابل الذهبية للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى، 2010.
5. الإمام بديع الزمان سعيد النورسي، المثنوي العربي النوري، القاهرة، دار السنابل الذهبية للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى، 2009.
6. الإمام بديع الزمان سعيد النورسي، المكتوبات، القاهرة، دار السنابل الذهبية للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى، 2013.